

## حياة الصلاة

من كتاب الكمال في الحياة المسيحية لروجو مارين

### ١- تعريف الصلاة .

لقد تقبّل القديس توما تعريفَ القديس يوحنا الدمشقي : الصلاة هي ارتقاء العقل إلى الله لحمده وسؤاله أشياء مناسبة للخلاص الأبدي .

أ - الصلاة هي ارتقاء العقل إلى الله : كل صلاة تقضي ارتقاءً للعقل إلى الله . مَنْ يَظَلُّ ملهياً هو في الواقع لا يُجري صلاة . ونقول " إلى الله " لأن الصلاة هي عملٌ ديني يتوجّه إليه بالذات حيث أننا من الرب فقط نستطيع تلقيّ النعمة والمجد . لكن يمكننا أيضاً أن نسأل شفاعة الملائكة أو القديسين أو الأبرار الذين في الأرض لكي تصير صلواتنا أكثر فاعليّةً بفضل استحقاقاتهم وشفاعتهم .

ب - ... لحمده ... : تلك إحدى الغايات الخاصة والأكثر نبلاً للصلاة . ونخطئ إن اعتقدنا أنها مجرد وسيلة بسيطة لطلب النعم من الله . فالعبادة والحمد والشكر على الخيرات التي نلناها ، كلها تندرج تماماً في إطار الصلاة .

ج - ... وسؤاله ... : تلك هي الخاصية الرئيسية للصلاة بما أن ما يعمله من يصلي هو خاصة أن يطلب . فهو يختبر في ذاته ضعفاً وعوزاً فيلجأ إلى الله حتى يرحمه .

د - ... أشياء مناسبة للخلاص الأبدي ... : يحقُّ لنا أن نطلب أشياء زمنية أيضاً ، لكن لا بصفة أساسية بل فقط كوسائل لخدمة أفضل لله ولميلٍ أفضل نحو سعادتنا الأبدية . فما نسأله في الصلاة يهدف في حد ذاته لحياتنا الفائقة للطبيعة .

### ٢- قيم الصلاة .

أولاً ، لا بد من أن نقول بأن الصلاة ليست سبباً عاملاً بمعنى أنها تُحرِّكُ - بمعنى أو بآخر - إرادة الله ، بما أن الله لا يمكن أن يُحدّد من أي واقعٍ خارجٍ عنه . في حين أن الصلاة هي سببٌ فيما يتعلق بالأشياء ، بمعنى أن الله قد رتب أن ترتبط أشياء بأخرى فتجرى هذه إن جرّت تلك . هناك إذاً إرادة مشروطة ، فكأنه قد قال منذ الأزل : " سأمنح تلك النعمة فقط إن سُئِلتُ إياها - أو لا أمنحها " .

### ٣- ضرورة الصلاة .

الصلاة ليست فقط مناسبة لنا بل أيضًا ضرورية تمامًا في القصد الفعلي للعناية الإلهية .

يلزم قبل كل شيء القول بأنّ هناك نوعان في الضرورة : الضرورة كـفرض والضرورة كوسيلة . الأولى تفترض أمرًا يوصي به مَنْ يرأس ويمكن أن يُبطل تمامًا ، وهو غير مطلوب من طبيعة الأشياء ذاتها . أما الثانية فضرورية لدرجة أنها من نفسها لا تقبل أيّ استثناء : فإنها مطلوبة من طبيعة الأشياء ذاتها .

### ٣- أ ) ضرورة الصلاة كـفرض :

هناك فرض إلهي وفرض طبيعي وفرض كنسي .

١ - فرض إلهي : يتضح من الكتاب المقدس ، مثلاً في متى ٢٦ / ٤١ : " إسألوا تُعطوا ، أطلبوا تجدوا ، اقرعوا يُفتح لكم " ، أو " إسهرُوا وصلُّوا كيلا تقعوا في تجربة ، فالروح نشيط لكن الجسد فضيف " (متى ٧/٧) ، أو " ثم قال لتلاميذه : لا يمكن إلا أن تحدث عثرات ، لكن الويل لمن تحدث بسببه (لوقا ١٨ / ١) " .

٢ - فرض طبيعي : الإنسان مليء من الاحتياجات ومن البؤس ، والله قد يعالج فقط بعضًا منها . لذا يقول لنا المنطق الطبيعي بأنه لابد لنا في أن نصلي .

٣ - فرض كنسي : توصي الكنيسة المؤمنين بأن يتلوا بعض الصلوات ، مثلاً عندما تمنحنا الأسرار المقدسة ، إلخ ... وهي تفرض على القسوس والرهبان الذين أتّموا ندورًا احتفالية بأن يتلوا صلوات فرض الساعات باسمها لأجل خلاص الشعب كلّ - وإلا . وقعوا تحت طائل الخطيئة المميّنة .

### ٣- ب ) ضرورة الصلاة كوسيلة :

إن الصلاة ضرورية كوسيلة لخلاص البالغين - وذلك بتأسيس إلهي . تلك عقيدة معتادة ومؤكدّة تمامًا في اللاهوت . لدينا مثلاً شهادة القديس اغسطينوس التي تلقّاها المجمع التريدينيني ووضّحها كما يلي : " الله لا يوصي بأشياء مستحيلة ، وحين يوصينا بشيء فهو ينبّهنا بأن نعمل ما نستطيع وأن نسأل ما لا نستطيع وهو يساعدنا حتى نستطيع " .

على الإنسان إزاء أن يصلي كقاعدة عادية يَكْمُنُ سببها في ترتب من الله . لكن تُوجَدُ طبعًا استثناءات . فلا يمكن لأحد ان يَسْبُرَ أغوار سر القصد الأزلي الإلهي . فالله قد منح مرارًا نعمته لمن لم يطلبوها منه ( مثلما مع القديس بولس على طريق دمشق ) ، ولكنه من المؤكد أنه " لا يمنعها أبدًا عن من يسألونه إياها باستعدادٍ مناسبٍ لديهم " ( متى ٧ / ٨ ) . وبالتالي ، فمن يصلي بثقة سينال فعلاً النعم الضرورية لخلاصه ، بالرغم من أن من لا يصلي قد يَخْلُصُ بصفة إستثنائية أو بمعجزة .

#### ٤- إمتيازات الصلاة .

الصلاة تجلب لنا دائمًا إمتيازات عظيمة . في الواقع ، نحن بواسطتها :

- أ . نمارس عملاً دينيًا يمثّل أسمى فضيلة يمكن للإنسان أن يمارسها .
- ب . نشكر الله على ما يمنحنا إياه من منفعة .
- ج . نتدرّب على التواضع مُدركين لفقيرنا وطالبن الإحسان .
- د . نتدرّب على الثقة في الله سائلين أشياء نأمل الحصول عليها من صلاحه .
- هـ . نُحْمَلُ على علاقة حميمة ومُحْتَرَمَةٌ مع الله أبينا الذي نَكِنُّ له حبًا كبيرًا جدًا .
- و . ندخل في مقاصد الله الذي سيمنحنا نعمًا قد حددها منذ الأزل لتوافق صلاتنا .
- ز . نرتقي بكرامتنا البشرية : " فالإنسان ليس لديه وضعٌ يُعْلِي شأنه مثلما يكون في وضع الركوع " . والحيوانات لا تصلي أبدًا ...

#### ٥ - أهمية العاطفة في الصلاة .

من المهم جدًا أن نستطيع الاستمرار وأيضًا إتخاذ فاصلٍ خلال الأعمال والمشاعر الإرادية . فالقديسون ومعلّموا الحياة الروحية يُقَدِّرون ذلك لدرجة أنهم يقولون عن الصلاة الصالحة والكاملة أنها تكمن في ذلك . ويقولون ذلك أيضًا عن الصلاة المُسمَّاهُ بالمشاهدة التأمليّة ؛ أي عندما لا يسعى الإنسان بعدُ - حين يتأمّل - إلى دوافع للحب ، بل يتمتع بالحب الذي قد لاقاه وكان يتمناه ، فيجد فيه راحته كمن وصل إلى الغاية في سعيه ورغباته قائلًا مع عروس - نشيد الأنشاد في الكتاب المقدس : " لمّا وجدتُ مَنْ تُحِبُّه نفسي ، احتضنته ولن أتركه أبدًا " . هكذا ، فالتأمل أو أيّ من الأجزاء المكوّنة للصلاة ، هي مرتبة وموجّهة إلى تلك المشاهدة التأمليّة ، أو هي مثل درجات علينا أن نَصْعَدَهَا لنصل إليها . وقد لاحظ القديس توما ذلك جيدًا جدًا ، وهو في بحثه في المشاهدة يقول أن المشاهدة التأمليّة ، مع كونها أساسًا عملاً للعقل ، فكمالها النهائي يَكْمُنُ في الحب وفي مشاعر الإرادة ، بحيث أن القصد والغاية الرئيسيّة من المشاهدة التأمليّة بالنسبة لنا هو أن تكون العاطفة للإرادة والحب لله .

بنفس الطريقة يقول لنا القديس أغسطينوس أن الاسهباب في الكلام شيء - أي المخاطبة الكثيرة وتكوين مفاهيم عديدة بالعقل - وشيء آخر هو المكوث طويلاً في الحب وفي مشاعر الإرادة . فالأولى هي التي لابد من العناية بتفاديها في الصلاة لأنها عبارة عن كلام كثير وتكرار .

## ٦- الشرود في الصلاة وعلاجها .

إن الشرود في الصلاة قد ينجم :

- ١- عن الإهمال الشخصي : أي نقصان الاختلاء بالنفس خلال النهار . وعلاجاً لذلك علينا محاربة الأفكار السيئة والحفاظ على الرغبة في الصلاة طوال اليوم .
- ٢- عن تجارب من الشيطان : فهو بالصلاة يفقد نفوساً عديدة ، ولذلك هو يحارب النفوس التي تصلي ويواجهها بصراعات عديدة . علاج ذلك هو الثقة الكبيرة في الله كلي القدرة .
- ٣- عن ضعفنا : بسبب طبيعتنا المجروحة بالخطيئة وبسبب نقصان الفطنة والقوة لدى طبيعتنا ذاتها . في هذه الحالة فالعلاج هو التواضع والثقة في الله الذي سيقوم بمساعدتنا .